

تجربة "رشيد بن مالك" في وضع قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص"

الدكتور: عيسى بربار

جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج

ملخص:

إنّ نقل المصطلح العلمي من لسان الأصل إلى لسان التقبل يتوقف على المهارات اللسانية للمعجمي، ومعرفته للملابسات التي أحاطت بالمصطلح حين نشأته في بيئته الأصل، وبات هذان الشرطان ضروريين يتقيد بهما المترجم، وخاصة إذا تعلّق الأمر بترجمة مصطلحات التخصصات العلمية، ويزداد الأمر صعوبة حين يضعها في معجم أو قاموس ويلحق بكل مصطلح شرحاً أو تحليلاً للإمام بدلالاتها المختلفة، وهي تجربة خاضها الكثير من المعجميين، فمنهم من ترجم ونقل من المعاجم الأجنبية مباشرة، وبعضهم جمعها في معجم أو قاموس وبحث عن ترجماتها أو وضعها بصورتها الأجنبية، ويعتبر الباحث الجزائري "رشيد بن مالك" من الذين خاضوا هذه التجربة، والمتمثلة في قاموسه "مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-إنجليزي-فرنسي"، وهو الموضوع الذي ستهتمّ به هذه الورقة.

الكلمات المفتاحية: رشيد بن مالك، المعجم، القاموس، المصطلح، البيئة الأصل، البيئة الهدف، ترجمة، نقل.

تمهيد:

لقد تنبّه اللسانيون العرب إلى ضرورة الإفادة من اللسانيات الحديثة التي بلغت شأواً عظيماً في الساحة النقدية والأدبية، فدأبوا إلى استلهاهم النموذج الجديد منطلقين من استعاب أسسه ومبادئه ومحاولة تطبيقها على النصوص الشعرية والأدبية، فبالرغم من أنّ المحاولة كانت محتشمة*، إلّا أنّها أتت أكلها في أواخر سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي، ولعلّ خير من مثل هذه التجربة "حمادي صمودي" وكتابه "التفكير البلاغي عند العرب"، و"عبد السلام المسدي" "الفكر اللساني في الحضارة العربية"، "عبد القادر الفاسي الفهري" وكتابه "اللسانيات واللغة العربية"، وتطبيقات العلامة "عبد المالك مرتاض" على النصوص الشعرية والسردية كـ "التحليل السيميائي للخطاب الشعري"، "التحليل المستوياتي لقصيدة شناسل ابنة الجلي"، و"بيئة الخطاب الشعري دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية"، ومحاولة "صلاح فضل" المتمثلة في كتاب "علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته"، وغيرها من الدراسات التي أكّدت نجاعتها، وحاولت نقل آليات وإجراءات التحليل للعمل الأدبي، ليستفيد منها القارئ العربي، لكن سرعان ما بدأ يلوح في الأفق إشكالية نقل أو ترجمة المصطلحات من اللغة الأصلية إلى اللغة

الهدف، فارتأى بعضهم إلى وضع معاجم للمصطلحات اللسانية إدراكاً منهم لأهميتها؛ إذ تعتبر مفاتيح لأي مقارنة، فظهر معجم اللسانيات الحديثة (إنكليزي_عربي) لـ "عياد حنا" و"زكي حسام الدين" و"نجيب جرجس"، ومعجم المصطلحات اللسانية لـ "عبد القادر الفاسي الفهري"، و"معجم اللسانية" لـ "بسام بركة"، ومعجم أخرى دأبت إلى شرح وتفسير وتحليل وضبط تعريف المصطلح، يُقدّم إلى القارئ العربي كمادة علمية تساعده في فهم النظريات الغربية التي ما فتئت تلقي بظلالها في الساحة الأدبية والنقدية العربية إلى يومنا هذا، وستهتم هذه الورقة بجهود الباحث الجزائري "رشيد بن مالك" الذي وضع قاموساً مختصاً بترجمة وتحليل المصطلحات السيميائية الخاصة بتحليل النصوص، مدعماً عمله بترجمات وأشكال؛ فهو "معجم جامع في حقله، يمثل حلقة في سلسلة المعاجم المتخصصة عموماً، أو عن معالجة السيميائيات خصوصاً".¹

ونشير هنا إلى أن الأستاذ "عبد الحميد بورايو" يقدّم عمل "رشيد بن مالك" على أنه معجم، في حين يطلق عليه الأستاذ "عبد القادر شرشار" تارة معجم وتارة أخرى قاموس.² فما الفرق بين هذين المصطلحين:

الفرق بين "القاموس" و"المعجم":

حسب الدراسات التي اهتمت بالمعجمية، فإن "رشيد بن مالك" كان على وعي حينما وسم عمله بـ "القاموس"، لأن القاموس كما عرفه "عبد القادر الفاسي الفهري" هو "الصناعة التي تتوق إلى حصر لائحة المفردات ومعانيها".³ أما المعجم فـ "هو المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءاً من قدرة المتكلم/المستمع اللغوية".⁴ وفي تمييزها بين القاموس والمعجم، تفضّل الباحثة "ليلي مسعودي" لفظ "القاموس" على "المعجم الأحادي اللغة" أو "المتعدد اللغات" الذي يشتمل على تعاريف، بينما يُخصّص لفظ "المعجم" للدلالة على المعاجم المتعددة اللغات التي لا تشتمل على تعاريف.⁵

والناظر في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، يجد صاحبه اعتمد على ثلاث لغات في نقل المصطلحات وحصرها، لأنه خصّص اتجاهها واحداً هو مدرسة "باريس" السيميائية التي مثلها "ألجيرداس غريماس" و"جوزيف كورتيس" وآخرون.

وصف قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي":

هو قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي_إنكليزي_فرنسي" لصحابه "الدكتور رشيد بن مالك"، الناشر دار الحكمة، الجزائر، سنة النشر 2000م، جمع فيه صاحبه أكثر من ثمان مائة مصطلح وهو من بين أشهر القواميس المتخصصة والمترجمة في العالم العربي، ويقع في 272 صفحة من الحجم (16×25سم)، تضم كل صفحة مصطلحاً أو مصطلحي إلى ثلاث مصطلحات على الأكثر، يقدم بعد كل مصطلح شرحاً وتحليلاً مترجماً ترجمة سياقية في غالب الأحيان ومدعماً بأشكال وترسيمات، ومذيلاً بإحالة أو أكثر لإزالة ما غمض من

المصطلح، حتى ويصبح المصطلح سهلا في تلقّيه، ونجده في مواضيع كثيرة يستحضر آراء وأقوال العلماء العرب المحدثين كـ "عبد السلام المسدي" و"مرزوقي سمير"، والقداامي كـ "ابن خلدون" ليدعم بها تعريفات المصطلحات السيميائية وضبطها، وتبدو لغته سهلة وواضحة فمن خصوصيات أسلوبه حسن الإستعمال، وتوظيف الترسيّات التوضيحية، ووضع المصطلحات حسب الترتيب الألفبائي_ الألفبائية الفرنسية.

وافتح قاموسه بكلمات بين من خلالها الحقل الدراسي المعتمد وإلى من يتوجه به هذا العمل، والأهداف المتوخّاة منه، ثم تأتي كلمة التقديم للدكتور "عبد الحميد بورايو" الذي بين فيها أهمية وقيمة هذا القاموس على الصعيد الوطني والعربي، ثم تأتي مقدّمته، وفيها أشار إلى أسباب ودوافع وضع القاموس، وأهى عمله بقائمة أسماء الأعلام مرتبة ترتيبا ألفبائيا ويلها قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

المصطلح عند "رشيد بن مالك":

يولي الباحث "رشيد بن مالك" أهمية كبيرة للمصطلح العلمي عامة والمصطلح السيميائي خاصة، فقد أضحى من اهتماماته الأولى منذ ثمانينيات القرن الماضي، حين كان يدرّس طلبته تحليل الرواية من منظور سيميائي، فلاحظ عزوفا من لدن طلبته في تقبلهم المناهج الحديثة وتمسكهم بالمناهج الكلاسيكية إلى حدّ الانصهار فيها، فراح يبحث عن حلول، فكانت وجهته الأولى معاينة الوضع المصطلحي في المعاجم المتوفرة في السّاحة النقدية العربية آنذاك فسجل نقضا واضطرابا في المصطلحية، وفوضى في ترجمة النصوص فتولّد عن ذلك اختلاف الدارسين في وضع المصطلح السيميائي. وباعتبار أنّ السّيميائية تتمتع بترسانة من المصطلحات، عمد "رشيد بن مالك" إلى تناول اتجاه واحد، وهو الإتجاه السيميائي الباريسي الذي أسّسه كل من "ألجيرداس غريماس" و"جوزيف كورتاس" وآخرون ساهموا في إرساء المنهج السيميائي.

وضع المصطلح عند "رشيد بن مالك":

يدرك "رشيد بن مالك" أنّ لنقل المصطلح وتحليله وفق لسان الأصل إلى اللغة الهدف شروطا كالتالي وضعها "أوجن فستر" (Wuster) حين أسّس نظريته الخاصة بالمعجمية، فلا يقتصر نقل المصطلح على وضع التسميات وبعض التعريفات اللغوية والإصطلاحية، بل كما يرى "خليفة الميساوي" في كتابه "المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم" أنّ " الترجمة تتطلب مهارات لسانية ومعرفية تساعد على ضبط مفهوم المصطلح حسب سياقات استعماله".⁶ وفي هذا السياق يقول "رشيد بن مالك": " إنّ ترجمة الخطاب النقدي المنجزة في إطار السيميائية، وتحديدًا من المنظور الغريماسي كثيرا ما تسقط في التعميمية، دون القدرة على بلورة المفاهيم النقدية التي افترضتها، أو تعتمد على جزئيات مبتورة عن السياقات المنهجية التي انبثقت منها، والإشكالية البحثية التي انبنت عليها والمرجعيات العلمية التي تحيل عليها".⁷

وإنّ هذه الرؤية تتقاطع مع قول الأستاذ "عبد المالك مراتض" حين وصف من اشتغلوا في الحقل السيميائي نقادا ومترجمين، فقال: "...فإنّ السيميائيين العرب حين جاءوا إلى إدراج هذا المعنى ضمن ما يفيد معادلا دلاليا للمصطلح الأجنبي (signe)، حاروا وماروا والتبس الأمر عليهم".⁸

ويورد "رشيد بن مالك" أسباب اختلاف ترجمات الخطاب السيميائي فيقول: "إذا كان الخطاب السيميائي المعاصر مستعصي الفهم في لغته الأصلية، فإنّ الترجمة بالشكل الذي تتم به، وبحكم تعبيرها عن رغبة فردية تخضع لميول شخصية بدلا عن أن تكون نتيجة لفعل معرفي جماعي، ذلك مما يزيد غموضا على غموض، ولا تفني بالغرض العلمي الذي تتوخاه".⁹

إنّ نقد "رشيد بن مالك" لترجمة الخطاب السيميائي بما فيه مصطلحاته وتحليلها وتفسيرها في المعاجم يتأسس على نظريات حديثة اهتمت بوضع شروط ومعايير لترجمته، واستثمرها باحثون في بحوثهم ودراساتهم، كالمعرفية التي تخضع بدورها إلى شروط تكوّن مجالها ك:¹⁰

— احتواء هذه المعرفة على مفاهيم مراقبة بصورة مسبقة في إنتاجها وتطورها.

— إنتاج المصطلحات انطلاقا من مفاهيم يقع ضبطها مسبقا.

— تكون فيها المصطلحات موحدة المفاهيم وليس لها مترادفات أو معان متعددة.

— يرتقي فيها الإستعمال المصطلحي إلى درجة العالمية.

— التجرد من الجوانب الإنفعالية والشعرية للغة.

وفوضى ترجمة المصطلحات وملحقاتها كالتحليل والتفسير راجع بالأساس إلى غياب هذه الشروط أو تجاهلها، فمعظم الدراسات التي اطلعنا عليها وجدناها تلحّ على التقيّد بهذه الشروط، حتى تسلم عملية إنتاج المصطلح العلمي من التناقض، ويركز المتخصصون في الترجمة على نوع آخر من المعرفة وهي المعرفة المشتركة أي معرفة ثقافة البيئة التي نُقل منها المصطلح، وثقافة البيئة الذي ستعاد فيه ولادة المصطلح، وكان قد اطلع على وسط أول الحقل الذي وُضع فيه المصطلح، وأكد بنفسه أنه قد تردد على فرنسا مرات كثيرة، والتقى بأستاذه "برنار ريويتي" و"جان كلود كوكي"، كما أن تفسيره للمصطلح وشرحه ارتكزا على "المعجم المعقلن لنظرية الكلام لـ"أ.ج. غريماس" و"جوزيف كورتاس"¹¹، وهما رائدا مدرسة "باريس" السيميائية.

فمعجمهما كما يرى "عبد الحميد بورايو" يتوفر على رصيد اصطلاحى هام جاء لثمرة عملهما، وقد استند "رشيد بن مالك" عليه مع مراعاته لاحتياجات الدراسات العربية وواقعها في هذا المجال، وكذلك سيورة بعض المفاهيم في واقع الأبحاث المنجزة خارج دائرة الثنائي غريماس/كورتاس.¹²

إنَّ اعتماد الباحث في ترجمته على هذه المدرسة جعله يضبط الإطار المعرّفٍ وتحديد المعنى المقصود لكل مصطلح، فعملية الترجمة تتوقّف كذلك "على تحديد مكوناته اللسانية والدلالية في لسانه الأصل"¹³.
وشرط آخر لم يغفل عنه "رشيد بن مالك" هو معرفة سياقات الإستعمال العلمي والإجتماعي للمصطلح حين ترجمته، لأنّ الغاية من استعمال المصطلح هو أن تتواصل به العلوم، ولا معنى له خارج دائرة الإتصال الإجتماعي.¹⁴

وفي تقيد "رشيد بن مالك" به " : إذ سمحت لي هذه المدة الطويلة بربط علاقة حميمة مع المصطلح ومعايشته، واختباره في اللقاءات العلمية ومواجهته مع الترجمات الجديدة الطارئة،
نا إذ تبين لي أن الترجمة الجديدة أكثر تداولاً، أو أنّها ترفع اللبس، وتعبّر
ة عن المفهوم المراد في اللغة الأصلية ولا تتعارض مع مصطلحات أخرى"¹⁵.

بما " " التي تتعلق
بخصوص النشأة أو ما يسمى " " ل في اللسان الهدف هي التي
" تساهم فعلياً في ترجمة المصطلح وتجعله مقصداً حسب الشروط السياقية لعملية الترجمة.¹⁶

المصطلح الغائب في القاموس:

إلى لم يتقيد به المصطلحات المؤسسة للنظرية السيميائية التي جاء بها
" في قاموسه، على الرغم من أنّها تشكل نسبة كبيرة في بحثه المتواضع، ذلك أن الحوار لا زال قائماً بين
مختلف التيارات المتبنية للنظرية¹⁷ وعدم تحديده لهذه المصطلحات، دفعنا إلى تصفح دقيق للقاموس
ومن هذه المصطلحات:

__ النموذج العاملي Modèle actantiel:

" " دلالة السرد تدرك ككل من خلال هذه
18 " " في كتابه "مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية"
19

__ الإختبار الحاسم Teste décisif:

تمثل حركة الذات في الخطة السردية، ويؤدي الإختبار الحاسم إلى التقاء الذات بالهدف، وقد تحدث " "
هذا المصطلح في تقديم لكتاب " " "مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية"
الإختبارات الثلاث التي توصل إليها " " في كل دراسة للخرافة.²⁰

Teste " إضافة إلى هذا المصطلح الذي لم يدرجه "

. **Teste de glorification** والإختيار التمجيدي **qualification**

_ الخطة السرديّة **Shema narrative**:

وفقا لخطة السرد فإنه حين يحدث إضراب في وضع ما فإنه يتم تأسيس عقد بين المرسل والذات، لتأسيس وضع
21

_ المشارك **Participant**:

ممثل، أو مخلوق يشترك في الوقائع والمواقف المروية ويؤثر عليها.²²

_ المطلب **Quête**:

أو الضالة المنشودة، التصوير في المستوى القولي لسعي الذات الراغبة نحو الهدف، والغاية من المطلب هو التقاء
الذات مع الهدف.

هذه المصطلحات وأخرى وردت في قاموس " في شروحاته وتفسيراته

ولم يدرجها العادة في وضع المصطلحات في المعاجم. شهدت الفترة

التي كان يضع فيها " استقرار المصطلحية بشكل نهائي، وتعددت الترجمات للمعنى

مما سبب فوضى في نقل المصطلح وتحديده، مما أدى إلى اعتماد في نقل ؛

المصطلحات من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، في حال عدم توفر مصطلح مقابل يعبر عن مفهومها الدقيق.²³
ومن هذه المصطلحات:

Sémiologie السيميولوجيا

ن إلى هذه الإشكالية التي ألفت بظلالها في البيئة المنشأ، فما بال في البيئة

الهدف؟ يرى أن الحدود بين السميائية والسيميولوجية غير واضحة، ويظهر ذلك من خلال اطلاق "

" على التصريح الذي أدلى به " " في جوان 1974 " " في صفحة خصصتها جريدة
24

Sème سيم

رجم في معجم " " إلى " "، وهي ترجمة متأخرة حيث ظهرت في

2003 في طبعتها الأولى.²⁶

Sémème سيميم

"بوتي" " "، وهو مجموعة السمات التي يمكن التعرف عليها في كلمة ما أو ²⁷ ووردت ترجمة المصطلح في المعجم السردى بـ " " .

سيمنتيم :Sémantème

" "، فهو على مستوى التعبير يعادل الكلمة المليئة (كمية ذات معنى) (لا تحمل معنى بمفردها).

طوبيقي (فضاء) :Topique

بالبرنامج السردى والمعرف، كتحويل متوضع بين حالتين سرديتين ثابتتين، يمكن أن نعتبر ²⁸ .

تيمي :Thématique

وفيه من الدور التيمي تمثيل موضوع أو مسار تيمي في شكل عاملي (" " يمكن أن يختزل في دور (، وهو عناصر نصية غير مستمرة تعتبر بأنها تصور وتعبّر عن الوحدات التجريدية الأكثر شمولية.

إيزوتوبيا : Isotopie

تؤدي إيزوتوبيا إلى التحام مجموعة من السيميئات التي تشكل الجملة، ²⁹ ويشير إلى تكرار وحدات دلالية في نص أو جزء من نص، أو يشير إلى تكرار وحدات في أي مستوى أو مستويات نصية ((...). ³⁰

بالرغم من غياب بعض المصطلحات الخاصة بتحليل الخطاب السردى التي وضعها " "، فإن المعجم يعتبر علمية خصية في غاية الأهمية، ذلك أنّ المصطلحات التي اشتغل عليها الكاتب تمثل مفاتيح لمقاربة أي نص سردي، فهي بمثابة الضوابط العلمية التي يستأنس إليها الباحث في التحليل السيميائي.

الهوامش:

⁽¹⁾ يرى الأستاذ مختار حبار أنّ الدرس السيميولوجي في العالم العربي ما انفك ينتشر باحتشام عن طريق الترجمة، والمحاولات المنشورة في بعض الجلات أو في بعض الكتب التي بدأت تظهر وهي تحمل بين دفتيها تعريفاً لهذا العلم، وبعض المحاولات التطبيقية التي تجرب قراءة النص الأدبي قراءة سيميائية.

— _ عربي للأستاذ رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، المجلد 05

07: 88

⁽²⁾ : 87: 88 89 وإلى مصطلح المعجم ص: 92 : يه أن هذا المعجم يمثل خير أداة تفيد الباحث.

⁽³⁾ عبد القادر الفاسي الفهري، تعريب اللغة وتعريب الثقافة، المجلة العربية للدراسات، معهد الخرطوم للغة العربية، الرباط، المغرب، 1985، 73:

⁽⁴⁾ 73:

⁽⁵⁾ ليلى المسعودي، ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية في اللسان العربي، الرباط، المغرب، 1996، 166:

⁽⁶⁾ خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، (1) 2013، 94:

⁽⁷⁾ لسيميائي للنصوص عربي _ _ 11: 2000

⁽⁸⁾ عبد المالك مرناض، بين السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران، العدد 02 1993، 10:

⁽⁹⁾ بل السيميائي للنصوص عربي _ _ 11:

- (10) خليفة المساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص: 97
- (11) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي. _ 10:
- (12) 07:
- (13) 100:
- (14) 102: :
- (15) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي. _ 13:
- (16) خليفة المساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص: 103
- (17) : عبد القادر شرشار، قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي. _ 94:
- (18) : جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: : شبح (1) 18: 1987
- (19) : جوزيف كارتوس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، (1). بيروت، لبنان، 2007 : 101:
- (20) : جوزيف كورتاس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص: 22: 56:
- (21) 153: :
- (22) 169: :
- (23) 109: _ صوص عربي. _ :
- (24) : رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي. _ 184:
- (25) 232: :
- (26) 206: :
- (27) : رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي. _ 08:
- (28) 240: :
- (29) 94 :
- (30) 120: :